الجزائر نيوز

يومية إخبارية شاملة

www.djazairNews.info

الثلاثاء 06 ماي 2008
العدد 1316 الثمن 10دج

32 صفحة

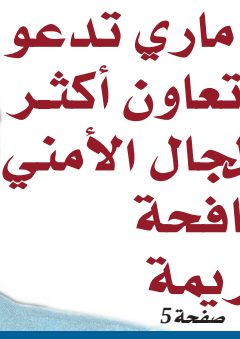

أليو ماري تدعو إلى تعاون أكثر في المجال الأمني ومكافحة الجريمة

صفحة 5

بوطرفة: لا زيادة في تسعيرة الكهرباء في الوقت الحالي

صفحة 7

الجولة 28 من البطولة الوطنية

بلوزداد، العميد والخروب أكبر المستفيدين.. وأوضاع البرج وتلمسان تتأزم

صفحة 29

السيدة فيلالي نورة لـ "الجزائر نيوز":

أنا مهددة من رجال شرطة فرنسيين يستغلون مهاجرين جزائريين للاتجار بالمخدرات.. وأملك الأدلة

السيدة فيلالي

● أملك شريطا مصورا يؤكد ما أقوله...

فتحت مصالح الأمن الفرنسية تحقيقا حول عناصرها، بعدما وصلتها معلومات من عائلة جزائرية، تفيد بأن عددا من أعوان أمن من منطقة "تراب" ضاحية بالعاصمة باريس يستغلون شبابا جزائريين مقيمين بطريقة غير شرعية ويدفعونهم إلى المتاجرة في المخدرات وتحصيل المال للشرطة، لينقلبوا عليهم بعد جمع المال، ثم القبض عليهم وترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية مع شباب آخرين من أصول مغاربية أيضا.

تفيد مراسلة من المدير العام ورئيس المفتشية العامة للشرطة الوطنية والأمينها العام، تحصلت "الجزائر نيوز" على نسخة منها، ردا على المعلومات التي أفادت بها عائلة جزائرية مغتربة وهي أصيلة ولاية قسنطينة، تطلب المساعدة والحماية من السلطات الفرنسية والجزائرية على حد سواء، تفيد بأن المصلحة المذكورة أحالت الملف إلى المديرية المركزية للأمن العمومي، حيث تعهدت المديرية العامة بالتحقيق حول النشاط المشبوه لعناصرها. وتضيف السيدة فيلالي في مراسلتها لـ "الجزائر نيوز"، أن شرطة "تراب" الواقعة غرب العاصمة الفرنسية، تستغل شبابا مقيمين بطرق غير شرعية في المنطقة، منهم ذوو أصول مغاربية وعلى رأسهم جزائريون، ونظير تركهم أحرارا، تدفع بهم إلى المتاجرة بالمخدرات. وتذكر السيدة المقيمة حاليا بقسنطينة، بعد تهديدها من طرف هؤلاء الشرطة مع أولادها، أن الكثير من الشباب الذين ورطهم أعوان الشرطة الفرنسيون في الاتجار بالمخدرات، تم الانقلاب عليهم في الأخير، "ورحل عدد منهم نحو أوطانهم الأصلية، خاصة الجزائر". كما تفيد السيدة فيلالي أن التجاوزات الخطيرة التي يتعرّض لها الجزائريون من الذين لا يملكون وثائق الإقامة، "ليسوا وحدهم في ذلك، بل معهم رعايا أفارقة" ذكرت منهم ماليين...

5/4

إرهاب الطرقات

10 أشخاص يموتون يوميا في حوادث المرور

خلفت حوادث المرور خلال الثلاثي الأول من هذه السنة، 977 قتيلا ضحايا 8748 حادثا مروريا، التحدي كبير والكارثة أكبر، الكل أصبح يدرك حجم الكارثة التي تخلف الآلاف من الجرحى وآخرين معوقين إلى الأبد، السلطات العمومية فكرت في استحداث المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرقات في سنة 1998, هذه الهيئة التي يلقى على عاتقها تنسيق السياسة الوطنية للتوعية بخطورة حوادث المرور، بالتنسيق مع أكثر من 15 هيئة وطنية ومحلية، لم تتمكن لحد من بلوغ أهدافها رغم الحملات التوعوية والتحسيسية المتواصلة التي تقوم بها طوال السنة، وكل الدراسات أثبتت أن العامل البشري يتسبب بنسبة 90,6 بالمائة في حوادث المرور، والبحث عن العلاج يستلزم حتما تفعيل كل الآليات ومشاركة كل الأطراف، والردع سيكون بلا شك وسيلة فعالة إلى جانب التوعية...

صفحة 11/10

الأثر

الروائي أنور بن مالك لـ "الأثر":

يريدونني داعية لقضية سياسية دينية أجهلها

صفحة 19/18

الروائي أنـــــور بن مالـــــك لـ "الأثر"

يريدونني داعية لقضية سياسية دينية اجهلها

أنور بن مالك، شاعر، قاص وروائي جزائري، يعد أحد أهم الأسماء الأدبية بالفضاء الفرانكفوني اليوم. بدأ النشر، خلال النصف الثاني من عشرية الثمانينات، بإصدار خصوصا المجموعة الشعرية: /راكيش/ (1985) ثم رواية /لوداميلا/ (1896)، في رصيده حاليا ست روايات، آخرها رواية /يا ماريا/ (2006) التي أثارت الكثير من الآراء المتناقضة.. يعود أنور بن مالك، عبر هذا الحوار الذي خص به "الأثر" الى أهم المحطات في تجربته الإبداعية، ميولاته وحساسياته الأدبية المختلفة..

■ أجرى الحوار: سعيد خطيبي

عدت السنة الماضية إلى الجزائر من خلال إعادة نشر مجموعتك الشعرية /كوكبي صاعد إلى رأسي/ الصادر عن منشورات أبيك. ماذا تبقى اليوم من الشاعر أنور بن مالك الذي فرض حضورا مميزا، بالساحة الأدبية الجزائرية، مطلع سنوات الثمانينيات، قبل أن ينسحب إلى الكتابة الروائية؟

يعتبر الشعر نوع أدبي صعب الممارسة. أنا أواصل، على كل حال، الكتابة الشعرية بكثير من الاحترام والذعر أيضا. ذعرمثيل بذالك الذي يمتلك متسلقي الجبال في ممارسة هوايتهم الشاقة. بالنسبة إلي، يعد الشعر أصعب أنواع مهنة الكتابة، نخشى دائما الوقوع في دائرة الاستخفاف و الرداءة التي غالبا ما تؤدي إلى إثارة /سخرية/ المتلقي الذي يعد أقصى جزاء يتلقه الغرور/ الشعري/ الذي من شأنه أن يمتلك كل كاتب لا يولي احتراما كافيا للفن الممارس. لهذا الأسباب أنا لا اسمح لنفسي بممارسة الكتابة الشعرية سوى في أوقات محدودة، و ببطء أيضا. اعتقد بان أسير يريتم كتابة شعرية يوافق معدل مجموعة كل عشرين سنة! إذا لم ابلغ كتابة نص يتوافق مع تطلعاتي فإني لا أجازف بإرباك و إزعاج ذوق المتلقي. تراودني مقولة تؤكد بان التقدم السريع في الكتابة الأبداعية يعد مؤشرا سلبيا...شخصيا، اعتقد بأنه يسهل كتابة رواية جيدة مقارنة بقصيدة راقية. تتحمل الرواية (أحيانا...) عبارات ضعيفة مقارنة بما يسبقها و ما يليها، لكن القصيدة، بالنظر إلى قصرها، لا تسمح بمثل هذه التجاوزات! أنا لست هنا بصدد الحديث عن نفس المعاني التي تتبناها خطا بعض الأطراف التي تحد الشعر في مجموع جمل قصيرة، مقفاة، تتوافق مع معايير عروضية معينة، الخ. بلغت، في الجزائر، السخافة إلى حد اعتبار كثير من أشباه الكتاب الرديئين /شعراء/ لأنهم، ببساطة، أنتجوا خربشات بشكل نصوص شعرية مقفاة تمجيدا للقادة السياسيين على كرسي السلطة! كان يفترض أن لا تنحي السلطة أمام الرداءة. لكنها، للأسف، تجرأت على منحهم ميداليات شرفية، باسم الشعب الجزائري، جزاء اللهث و التملق...النص الشعري الجيد لا يتعلق بالتقنية. يمكن، بكل تأكيد، أن يكون حداثيا، كما يمكن أن يكون أيضا جد مبسط شكلا، غير منجذب وراء موضة الراهن. الأهم، في كل هذا، هو أن يسمح /باكتشاف/، عبر تحديد استثنائي لمواقع الكلمات العادية في النص، بعدا جديدا للعالم الغريب أين، بالرغم من انفنا، نحن كبشر، يعتقد بكوننا /بشر عاقلين/ محكوم علينا بالعيش. المهم هو بلوغ انطباع، الذي لا ندري غالبا مصدره، /كشف/ ضئيل عن سر الوجود.

خلال الفترة الممتدة ما بين 1986 و 2003، وقعت خمس روايات، قبل أن تأخذ ما يشبه استراحة محارب من خلال إصدار مجموعة شعرية، ثم العودة مجددا إلى نمط الكتابة الروائية. ألا يعبر هذا عن علاقة حميمة تربطك بالكتابة الشعر؟ كما يعبر أيضا عن نظرة دونية للشعر مقارنة بالرواية؟

في الحقيقة، اعتبر نفسي حرفي كلمات يحاول الاشتغال في عديد الميولات الأدبية إلى غاية تحديد المجال الذي يحقق عبره التوظيف الأحسن لمكتسباته المتواضعة. بعد العديد من التجارب، مع نشر عدد من الكتب، اعتقد بان الرواية، بمعنى الكتابة طويلة النفس، التي تتطلب غالبا الانضباط، طيلة سنتين أو ثلاث سنوات بموضوع معين، هي المجال الذي يوافق طبيعتي الإبداعية. اعتبر الرواية وسيلة اكتشاف العالم. أنا لا اكتب، في الحقيقة، إلا عما اجهله. اعتبره على الأقل أحد أهم تطلعاتي في بدايات مساري مع الكتابة. غالبا، السنوات الثلاثة التي اقضيها في إعداد رواية ما لا تمنحني فقط فرصة الاطلاع، من خلال الموضوع المختار، عن جزء معرفي كنت اجهله سابقا، لكن، أيضا، يمنحني فرصة طرح أسئلة جديدة، أو أخرى قديمة وفق منظور مختلف، كفرد يعيش ضمن منظومة هذا الكون الغريب، المتوحش أيضا، أين يتعايش الخلود مع الفناء، الحب و الموت، الكره و الطيبة. يحدث أن أطمح عبثا - هذه حقيقة ربما سلبية لا انفيها - إلى بلوغ إجابات عن أسئلة جوهرية تأرق عقل و قلب كل فرد، رجل أو امرأة. يظل هذا التواصل في التساؤل، الفضولي بطبيعته، عنصر حيوي في الحفاظ عن توازني الطبيعي. هذا ما يحيلنا، مرارا، كلما انتهيت من رواية إلى التفكير في رواية جديدة. نفسها التي ستحيلني لاحقا إلى رواية أخرى، ضمن حلقة غير منتهية، و هذا ما أرجو تواصله إلى نهاية المسار. بالنسبة إلي، يظل الشعر، ضمن هذا التوجه، رفيقا ضروريا. أنا أقرا كثيرا من المجموعات الشعرية، كما اشتري الكثير منها. اجتهد كثيرا حين الكتابة الشعرية، وفق مراحل مختلفة، قبل أن انقلها على جهاز الكومبيوتر أو على دفتر بغية المراجعة و الاطلاع على نقاط ضعف النص الأولي. تماما مثل النخلة أو شجرة البلوط، تتطلب القصيدة كثيرا من الوقت قبل أن تنضج و تبلغ سن العطاء! عادة، قبل الشروع في الكتابة خلال الصبيحة الطويلة، أطالع مجموعة شعرية، مختارة صدفة، من بين مجموعة شعرائي المفضلين. أتصفحها كي أتشم بعض عطر الأبيات هنا و هناك. تماما مثل العداء الرياضي: اسخن عضلاتي الشعرية قبل الانطلاق في الركض!

بدأت تجربة النشر بالجزائر، خلال النصف الثاني من سنوات الثمانينيات،

> اعتبر نفسي حرفي كلمات يحاول الاشتغال في عديد الميولات الأدبية إلى غاية تحديد المجال الذي يحقق عبره التوظيف الأحسن لمكتسباته المتواضعة

بإصدار /راكيش/ و /لوداميلا/. كيف تم استقبال تلك الإصدارات الأولى من طرف النقد الأدبي بالبلاد آنذاك؟

اشعر، طبيعيا، بكثير من الانفعالات إزاء كتبي الأولى، المنشورة ضمن حقبة صعبة، لدى دور نشر حكومية (الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ثم المؤسسة الوطنية للكتاب) التي كانت تجهل حتى القواعد الأساسية لمهنة النشر. حدث مثلا أنني اكتشفت، على إحدى وجهات المكتبات، احد كتبي، بعد مرور سنتين أو ثلاث سنوات عن إرسالها إلى دار النشر، دونما أن أتلقى أدنى إخطار أو نوقع العقد أو نتفق عن إجراءات النشر. بلغ التعامل مع هذه دور النشر ذروة السخرية: بعدما سلمت مخطوط /لوداميلا/ إلى إدارة المؤسسة الوطنية للكتاب، الذي يحكي محن طالب جزائري في الاتحاد السوفيتي سابقا، تلقى المخطوط بالرغم من كل ما يحمله من نقد للنظام السائد في الاتحاد السوفيتي الموافقة و تم إصداره بشكل لائق. بضعة أشهر لاحقا، استجابة لأمر أصدرته السلطات الجزائرية، تحت ضغط شكوى رفعتها جهات رسمية سوفيتية (بالرغم من كونها كانت تعيش في ظل تطور الفكر البروتسرويكي) تم سحب الكتاب من كل مكتبات الجزائر! الأكثر سخرية في هذا الموضوع هو ردة فعل المؤسسة الوطنية للكتاب التي أرسلت بيانا تفخيميا إلى كل الجرائد تشتكي فيه إصدار كتاب / يمس بالمصالح الدبلوماسية السامية للجزائر/ (هذا ما صرحت به المؤسسة حرفيا!) كان يخشى مدير المؤسسة آنذاك ردة فعل سلبيا من قبل من يعلوه منصب، فيخسر الحظوة التي كانت يحظى بها.

من جهة أخرى، أؤكد بان غالبية الصحافيين، آنذاك، الذين قدموا مقاربات حول كتاباتي ابدوا آراء حسنة.

غادرت البلاد خلال فترة كانت فيها الجزائر بأمس الحاجة إلى مثقفيها. هل يمكن أن تعيدنا إلى الظروف الحقيقية التي دفعتك إلى مغادرة الجزائر، مطلع التسعينيات، للاستقرار بفرنسا؟

لم و لن أحاول تبرير مغادرتي البلاد. حتى و لو أن الظروف الأمنية السائدة آنذاك كانت دافعا إلى التفكير في مغادرة، لكنها لم تكن الدافع الوحيد و الأساسي. غادرت بلدي لأنني أحسست، في لحظة ما، بتقلص هامش حرية العيش و التفكير أيضا. إذا، غادرت الجزائر لأنني شعرت بخلل في ظروف ممارسة مهنتي الطبيعية المتمثلة في الكتابة. مع الإدراك أن الحياة بطبيعيتها جد قصيرة. اعتقدت بأنه لا يمكنني انتظار تحسن الظروف. هكذا رحلت. تاركا بلدي، أهلي، أقاربي و أصدقائي بقلب جد منقبض و قلق إزاء ذلك القرار الصعب. راهنت على هذا الاختيار الذي كان بوابة ولوج تجربة كتابة جديدة أثمرت كثيرا من الكتب، ترجم بعضها إلى عشرات اللغات العالمية.

بضع سنوات بعد وصولك إلى فرنسا، على عكس الكثير من الكتاب الجزائريين المغتربين أيضا، استطعت فرض حضور مميز، خصوصا مع رواية /العاشقان المنفصلان/ التي رشحت إلى جائزتي فامينا و ميديسيس عام 1998. ما هو الفرق الذي التمسته بين تجربة الكتابة في الجزائر و تجربة الكتابة بفرنسا؟

كنت، في الجزائر، كاتبا مسرفا، أصنف ضمن دائرة / الهواة/ إن صح التعبير. لم أصبح كاتبا محترفا سوى في الخارج! صدمت بعالم نشر جد صعب هناك، يشترط كثيرا من المعايير، صارم، يتفحص النص الأدبي في أدق تفاصيله. يدفعنا إلى الكشف عن أجود ما يمكننا كتابته. يخلق العدد المرتفع من الكتاب، المجلات و معارض الكتاب، بالإضافة إلى الفضاءات المخصصة للكتاب في جل الجرائد الفرنسية، جوا تنافسيا حادا. /أن تنشر أو تموت/ كما يقول المثل الانجلو سكسوني. كان هذا النوع من المبالغة دافعي إلى المواصلة خلال تلك السنوات من نضج التجربة الأدبية. إجمالا: دافع عمل، ثم العمل، لاشيء غير العمل...

كيف نظرت إليك الأوساط الأدبية الفرنسية، مع العلم انك قادم من بلد كانت تمزقه حرب أهلية؟

أنا لم العب يوما على ورقة الكاتب المنفي. اقترحت كتاباتي الأولى عبر البريد، كما يفعل بقية الكتاب. لا ينكر احد بان بعض الأوساط الأدبية الفرنسية كانت متسامحة، بتعجرف، مع جزائريين حاولوا تأليف أعمال أدبية بلغتهم. أتذكر احدي المقالات التي كتبت بشان أعمالي الأدبية التي تبدأ بهذه العبارة الساخرة: /كاتب جزائري آخر.../ دافع الكاتب الكبير محمد ديب عني، عبر صفحات مجلة فرنسية أخرى، منددا بالنبرة البطريركية و /النيوكولونيالية/ لصاحب ذلك المقال الذي صار لاحقا عضو الأكاديمية الفرنسية...

لنعود قليلا إلى روايتك الأخيرة المعنونة / يا ماريا/ التي أثارت كثيرا من النقاش بفرنسا، مع كثير من الجدال بالجزائر. هل يمكن أن تضعنا في مناخات الإعداد للرواية، منذ تبلور الفكرة إلى غاية إتمام المخطوط؟

كنت دائما مهوسا بتاريخ الأندلس. أنا لا اتخذ موقف غير مبال، مثل الكثيرين، أمام تلك الصفحة الناصعة من تاريخنا. نحن ناسف كثيرا عن واقع المجتمعات العربية الإسلامية التي هي بحاجة إلى استنباط دروس الماضي المشرق. انتظرت مدة طويلة قبل الخوض في مثل هذا الموضوع ككاتب. كان موضوعا يتراءى جد صعب المعالجة من دون إعداد منهجي صارم، دونما إحاطة بإشكالية، محور العمل، لم يتم مقاربته سابقا. كان الأندلس، بالنسبة إلي، مثالا، انطلاقا من خصوصيته في الجمع بين عدد الثقافات و الأديان. على خلاف ما نشاهده اليوم بالوطن العربي الإسلامي.وجدت نفسي منبهرا بتلك الحضارة الإنسانية. لكن، ككاتب، لم أكن لأسمح لنفسي بتوقيع كتاب جديد يتغنى بذلك العصر، مشتغلا على نفس الأطروحة المتداولة: كم كنا عظماء، كم كنا رائعين نحن العرب...! أو ما شابه هذا النوع من الخطاب. فهمت بان وظيفتي كروائي تتمحور خصوصا في طرح تساؤل /لماذا/ سقطت الأندلس؟ بالتالي، انغمست في لوعة التنقيب في فترة ما بعد الأندلس، بداية من عام *1492*. سنة سقوط غرناطة، سنة طرد اليهود الاسبان، و أيضا، سنة اكتشاف امريكا. اكتشفت تاريخا رهيبا اين سادت جرائم كثيرة، ثورات عارمة قادها أحفاد المسلمين، تبعتها عمليات قمع رهيبة، ثم في عام *1609*، وقعت أول عملية ترحيل إجرائي لشعب كامل، اقصد عملية ترحيل الشعب الموريسكي من طرف الملك الاسباني. سمحت لي الدراسة المعمقة لتلك الحقبة بالاطلاع عن صدمة التعصب الذي وقع على أكثر من صعيد و التبعات الوخيمة لسيادة التفكير العصبي و التمييز الديني المهيمن على أذهان كل شعوب تلك المنطقة، الشعوب التي تقتسم ضفتي المتوسط. أدرك، انطلاقا من هذه النقطة، بأنني استطعت بلوغ جوهر الرواية المتمثل في العودة إلى فشل الفكر الأندلسي في تأسيس قيم التسامح. محاولا، وراء هذا التوجه، إيجاد وسيلة لخلق الصلة مع الوضع الكارثي الذي يعيشه العالم اليوم. بدا لي من المستحسن اختيار شخصية أنثوية للعب دور البطولة و الخوض في مختلف الواجهات المتناقضة الرهيبة التي كانت تواجه الموريسكي في تلك الحقبة أين كان يسود مد الخيانة. كان يتوجب أن تكون تلك الشخصية الأنثوية مسيحية و مسلمة، في أن واحد. أم و عاشقة. منهزمة و جد متشبثة بمبدأ تحررها، حتى و لو كان الثمن تضحية بالحياة، إنقاذا لمستقبل الابن. كان يجب أن يكون كل هذا، شريطة أن تبقى امرأة عادية، بضعف إنسان عادي، بجنونه أيضا.

كما ذكرت سلفا تظل الأندلس في صلب كثير من الأطروحات. لكن، غالبا، وفق منهج ذاتي، سلبي؛ المتمثل في البكائية عن ضياع آخر /قلاع/ (بل لنقل جنان) الإسلام؟ ألا توافقنا الطرح الذي يميل إلى تأكيد بان الفرد المسلم المعاصر لا يؤمن بحقيقة / الانتقال/ التاريخي الذي ينفي كل مطلق، مؤكدا استمرارية التواصل الحضاري غير الثابت جغرافيا؟

يبدو لي بان الإشكال الجوهري يتمحور حول حقيقة أن الفرد العربي ثمل في أوهام الماضي البعيد بدل الخوض في مواجهة و معركة اقتراح، عقلانية، لحل الأزمات الراهنة المستعصية. بدل التفكير في بناء مجتمع التسامح، متخذا الديمقراطية و حرية التعبير قيما أساسية، يميل الفرد العربي، المضطهد، المحروم، المسلوب، من طرف أولئك الذين يحكمونه، الالتحاق بصف أولئك الذين يعيدونه الجنة و العودة إلى الماضي الأسطوري مقابل الخضوع إلى إرادتهم التعسفية الراهنة. صحيح بان الماضي يتراءى أكثر رفاهية مقارنة بالراهن التعسفي السائد بالمجتمعات العربية. لكنني غالبا ما نتناسى بان هذا الماضي كان أيضا بؤرة موت. وحده الحاضر إن استطعنا تغيره من سيمكنه صناعة مستقبلنا الحضاري. بمعنى الحياة. بالتأكيد أن الماضي يطمئننا لأنه ثابت، لا يفاجئنا، على عكس المستقبل الذي يخبئ كثيرا من الأخطار، كثيرا من التحديات أيضا. لكن، في النهاية، هذا هو جوهر الحياة، لابد أن نتحمل عواقب المجازفة و إلا فإننا سننتهي!

ما هي القراءة التي تفترضها حقا لتحديد الأسباب الموضوعية التي أدت الى ترحيل المسلمين من إقليم الأندلس؟

الصدامات العرقية و الدينية التي تعرضت إليها في الرواية كانت السبب الرئيسي. حاول النظام الملكي الاسباني المسيحي آنذاك إعادة كتابة تاريخ البلد مع إلغاء كل معالم الانتماءات الدينية الأخرى. ككل الأنظمة الديكتاتورية، حلم الملوك الكاثوليكيين آنذاك بوطن خيالي قائم على توحيد كل مظاهر الحياة الاجتماعية الروحانية: الدين، الفكر السياسي، الموسيقى، مظاهر التسلية، بل حتى الألبسة و فنون الطبخ. كان حلم بعيد في بلد هجين مثل اسبانيا. بغية تحقيق هذا المسعى، هم لم يترددوا في التخلص من أولئك الذين كان يمثل مجرد حضورهم إقلاقا متواصلا لنواياهم. بلغت مساعي إعادة كتابة تاريخ اسبانيا ذروة مأساوية من خلال القيام بأول عملية ترحيل في التاريخ، تمت في ظروف قاسية، أدت الى إبادة عدد معتبر من الموريسكيين. اسبانيا أيضا دفعت الثمن غاليا إزاء هذه العملية التي قادت الى إخلاء قرى كاملة بالبلاد، مدة سنوات طويلة. مخولة بعض المناطق الى ما يشبه خلاء تام، كما أدت الى اختفاء كثير من العادات الثقافية و الحرفية.

ألا ترى بان بطلة الرواية ماريا استطاعت إلى حد كبير عكس صورة حقيقية عن إحدى أهم أزمات العالم الإسلامي اليوم الغارق في سؤال الهوية؟

ولدت ماريا في صورة جد جميلة، ممتلئة طموحا، وسط عالم يتمايل وسط مشاعر الكره و الهزيمة. بعد بلوغها سن الرشد، وجدت نفسها محاصرة بمشاعر الخيبة و الموت أيضا. تنتمي ماريا إلى عالم مدان، لكنها، ظلت تبحث دائما عن التحرر.لم يكن قلقها عقلاني لأنها كان خاضعة لنظام عالم جنوني، معتوه! فرض عليها، بداية، كبقية بني جلدتها تغير العقيدة، اللغة، بل حتى العادات الاجتماعية. تحت تهديد المثول أمام محاكم التفتيش و ربما الانتهاء بين دفتي المحرقة. كما كانت مهددة، بالرغم من كل التضحيات، بالترحيل من بلد أهلها منذ قرون طويلة. تم، في النهاية، حرقها بحجة انتمائها إلى أصول دينية إسلامية مشبوهة، غير معترف بها. ماريا هي كل واحد منا، يفقد صوابه، بسبب إعاقته في ممارسة حرياته، أو ما يبتغي ممارسته!

كيف ترد عمن يتهمك بخوض هذا النوع من المواضيع بغية الاستجابة لدفتر شروط تفرضه دور النشر الفرنسية؟

هل تود أن أجيبهم بنفس السخرية التي ينتهجونها وفق ما تمليهم عنهم بعض الجهات. أم أجيبهم بنفس الجهل و اتساع ثقافة الحسد التي تملا قلوبهم. في الجزائر، لم تستطيع السلطة الحاكمة أن تفرض علي دفتر شروط و تملي علي توجهات كتاباتي. لاحظ مثلا كل المقالات التي وقعتها في الصحافة الجزائرية حول التعذيب ببلادنا، التي نشرت بعضها ضمن كتاب / وقائع الجزائر القاسية/. كنت آنذاك عضو في اللجنة الوطنية لمواجهة التعذيب و مختلف التهديدات التي تفرضها مصالح الأمن. العسكرية أكثر منها بوليسية. ألا يعد هذا من باب السخرية. أنا اجزم بذلك! كيف إذا يتوقعون أن أتخلى عن هذه الحرية في التعبير، حريتي ككاتب التي اكتسبتها في ظروف جد صعبة لأخضع لإرادة ناشر أجنبي!لم يسبق أن استجبت لأي من توجيهات أو أملاءات أي ناشر، مهما كان وزنه على الساحة الأدبية. الناشرين الذين أتعاملوا معهم لم يكتشفوا و لن يكتشفوا فحوى كتاباتي إلا حينما أقدم المخطوط في شكله الختامي. غالبا، يمتلك هؤلاء الكتاب نظرة سامية لوظيفة الأدب و الكاتب المتمثلة في خدمة القيم الأصيلة. هم لا يسمحوا لأنفسهم أن يسالوا كاتبا بتوقيع رواية تخدم وجهة نظر معينة، لكنهم ربما يسعون فقط إلى دفعه إلى إبراز أفضل ما يمتلك. كتابة أفضل نص يستطيع تحقيقه. عموما، أنا لا أوقع عقودا قبل الانتهاء من إعداد المخطوط. أنا أؤمن بهذه القناعة حفاظا على حريتي الأدبية الى أقصى حد. في رواية / يا ماريا/ حتى و إن تعاطفت مع فئة أهملها التاريخ المتمثلة في فئة الموريسكيين، فان مجمل شخصيات الرواية تم التعامل معها وفق منطلقات صارمة، إزاء دوافعهم غير المعلنة، تيههم و أخطائهم. لا احد من الشخصيات استفاد من تعامل استثنائي. خصوصا سادة محاكم التفتيش في السلطة الملكية الاسبانية. المؤسسين لمشاعر معاداة الإسلام التي تنامت بشكل جد رهيب. حاولت عبر هذا الكتاب الاقتياد بحدس الروائي الذي يتجسد في وصف السلوكيات الإنسانية، الواقع المر و الفظيع، الطارئ و التعسفي، بكل تحولاته و تناقضاته، مع أن البعض كان يريد رؤيتي داعية لقضية سياسية دينية اجهلها. الأدب الحقيقي لا يتفق مع شعارات: /هذا ماكر مخطئ و ذاك طيب محق/ كي اختم الإجابة عن تساؤلك، أؤكد بأنني، على عكس الكثير من الكتاب المقننين ضمن توجهات إيديولوجية معينة، أنا، لحسن الحظ، أمارس مهنة أخرى في الحياة، فانا أستاذ جامعي. بالتالي، حريتي في التعبير مرتبطة أيضا بحريتي المادية.

في الختام، أعود الى إحدى الأسئلة التي سبق أن طرحتها، المتعلق بضرورة مسايرة الأدب لأطروحات الراهن. ما هي نظرتك اليوم للأدب الجزائري؟

اعتقد بان الكاتب المعرب أو غيره لا تنحصر وظيفته في خدمة فئة على حساب فئة أخرى. لا يكتب خدمة لميولات القارئ. في النهاية، هو الفرد (كلمة فرد اعتبرها مهمة) التي تعني تقديم ما يوافق قناعاته. القناعة الحقيقية هي نتاج طبيعي، تتأتى من ذاتها. كما أنها تظل دائما قناعة ذاتية. تظل قناعات الكاتب راهنة إذا كانت تقر بمبادئ التعايش مع أراء الآخرين. العالم صار اليوم جد معقد لا يسمح بتعايش سلمي بين مختلف التأويلات و التناقضات. وجب علينا قراءة أعمال الكاتب، محاورته، محاولة فهمه قبل اطلاق الأحكام التعسفية، كما يحدث غالبا ببلادنا العربية.